

العقيدة - حقائق الإيمان والإعجاز - الدرس (١٦-٣٠) : تلاوة القرآن الكريم أثناء الليل وأطراف النهار - خلق السماوات و الأرض و إفنائهما و إعادة خلقهما
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٩-٠٤-٠٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

على الإنسان أن يتلو شيئاً من القرآن الكريم كل يوم:

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس السادس عشر من دروس حقائق الإيمان والإعجاز العلمي، ولا زلنا في حقائق الإيمان في موضوع القرآن الكريم، واليوم الحديث عن تلاوته أثناء الليل وأطراف النهار، هذا الكتاب المعجز الذي أنزله الله على قلب نبيه صلى الله عليه وسلم، وتعبنا الله بتلاوته، فلذلك من الذكر أن تتلو شيئاً من القرآن الكريم كل يوم، الله عز وجل يقول:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

(سورة الأنفال الآية: ٣٣)

أنت إذا قرأت القرآن الكريم دائماً قراءة صحيحة، وبالتجويد إن أمكن، وبفهم دقيق، وبتدبر، وبتطبيق، تكون قد تلوته حق تلاوته.

مراعاة القواعد التالية عند قراءة القرآن الكريم:

١ . اختيار الوقت المناسب لتلاوته:

لذلك حينما نقرأه ينبغي أن تراعي القواعد التالية، أولاً:

﴿ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾

(سورة الحج)

ينبغي أن تختار الوقت المناسب لتلاوته، وفي هذا الوقت يتجلى ربنا عز وجل على قارئ القرآن تجلياً خاصاً، وتتنزل على قارئ القرآن رحمة الله، طبعاً هذا كتاب:

((فَضْلُ كَلَامِ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ))

[الترمذي عن أبي سعيد]

البون شاسع بين كلام الله عز وجل وبين أي كلام آخر، هذا الكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

أفضل أوقات تلاوة القرآن الكريم:

١ . الثلث الأخير من الليل:

أفضل شيء في تلاوته أن تختار الوقت المناسب، العلماء قالوا: أفضل أوقات تلاوة القرآن الكريم الثلث الأخير من الليل، الثلث الأخير له خصوصية:

((إذا كان ثلث الليل الأخير نزل ربكم إلى السماء الدنيا فيقول: هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من طالب حاجة فأقضيها له ؟ حتى يطلع الفجر))

[أخرجه أحمد عن أبي هريرة]

إذاً أفضل أوقات تلاوة القرآن الكريم في الثلث الأخير من الليل.

٢ . الفجر:

ثم قراءة الفجر:

﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنِ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) ﴾

(سورة الإسراء)

بعضهم قال: القرآن الكريم الذي يتلى في صلاة الفجر. لذلك ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها:

((ولو علموا ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً))

[أخرجه البخاري وابن خزيمة عن أبي هريرة]

في هذا الوقت تنزل الرحمات.

أضرار النوم المديد:

لكن الذي يلفت النظر أنني قرأت بحثاً علمياً حول موضوع النوم المديد، العلماء قالوا: الإنسان إذا نام نوماً مديداً أي وضع رأسه على الوسادة بعد منتصف الليل وما استيقظ إلا بعد الضحى، حتى كما يقول العامة شبع من النوم، ما الذي يحصل؟ الإنسان إذا استغرق في النوم تباطأت ضربات القلب، وقد تهبط إلى خمس وخمسين ضربة في الدقيقة، الوضع الطبيعي يقدر بثمانين ضربة، حينما ينام الإنسان نوماً مديداً القلب ينخفض نبضه، حينما يقل نبض القلب يسير الدم في الأوعية في ببطء شديد، قال فإذا سار في ببطء شديد المواد العالقة في الدم تترسب على جدران الشرايين، وإذا ترسبت تصلبت، العلماء قالوا: الشريان قلب آخر لأنه مرن، حينما تأتيه نبضة القلب هو مرة يتوسع، ولأنه مرن بعد التوسع ينقبض، صار قلباً ثانياً، الشريان قلب آخر، قلب بعد القلب، والدليل ضع يدك ترى

هناك نبض كلما جاءت نبضة من القلب انتقلت هذه النبضة إلى الأوعية الشريانية فتوسعت ثم تقلصت، بتوسعها وتقلصها غدت قلباً آخر أعان القلب الرئيسي، أما حينما تترسب المواد الدهنية على جدران الأوعية والشرايين تضعف مرونة الشريان، حينما تضعف لا يتوسع كثيراً ولا ينقبض، فإذا تصلب الشريان تضخم القلب، هذا البحث العلمي الذي قرأته يشير ويترجى قارئ المقال أن يقطع نومه المديد، ليؤدي حركات رياضية بعد أربع ساعات من بدء النوم لربع الساعة ثم يعود ويستأنف النوم، قلت: سبحان الله المسلمون جميعاً إذا استيقظوا على صلاة الفجر قطعوا نومهم المديد، وتوضؤوا، وصلوا، وأدوا حركات رياضية رائعة، وعادوا، وناموا.

تصلب الشرايين من أخطار النوم المديد:

إذاً من أخطار النوم المديد تصلب الشرايين، وهناك حديث آخر يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((أذبيوا طعامكم بذكر الله))

[أخرجه الطبراني عن عائشة أم المؤمنين]

أي كُلْ مع من تحب وفي أثناء الطعام تحدث، تكلم، تكلم حول موضوع لطيف، أنس من حولك، اسأل أولادك عن مدرستهم، لا تجعل الأكل وحده الشغل الشاغل:

((أذبيوا طعامكم بذكر الله))

[أخرجه الطبراني عن عائشة أم المؤمنين]

لأنه ثبت الحالة النفسية الطيبة أثناء تناول الطعام تعين على الهضم، قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((أذبيوا طعامكم بذكر الله والصلاة ولا تناموا عليه فتفسوا قلوبكم))

[أخرجه الطبراني عن عائشة أم المؤمنين]

يعني أكل وجبة دسمة ثم نام، هذه المواد الدهنية العالقة في الأوعية تترسب، فإذا ترسبت تصلب الشريان، فإذا تصلب الشريان ضعفت مرونته، فإذا ضعفت مرونته جهد القلب وتضخم، أحد أسباب تضخم القلب تصلب الشرايين:

((أذبيوا طعامكم بذكر الله والصلاة ولا تناموا عليه فتفسوا قلوبكم))

[أخرجه الطبراني عن عائشة أم المؤمنين]

إذا الوقت المناسب لتلاوة القرآن الكريم الثلث الأخير من الليل، يأتي بعده الفجر قال تعالى:

﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (٧٨)

(سورة الإسراء)

٣ . قراءة الصبح:

ثم قراءة الصبح، يعني بعد صلاة الصبح لك أن تقرأ القرآن الكريم.

ثم باقي أوقات النهار، لكن هناك ملاحظة، سيدنا عمر رأى شاباً يقرأ القرآن في وقت العمل فسأله:
**((مَنْ يطعمك ؟ قال: أخي، قال: أخوك أعبد منك، إنما أنزل هذا القرآن ليعمل به، أفأخذت
قراءته عملاً ؟))**

[ورد في الأثر]

إن الله عملاً بالليل لا يقبله في النهار، وإن الله عملاً بالنهار لا يقبله في الليل.
حينما جاء سفير عامل عمر بن الخطاب على أنريجان وصل المدينة في الليل، فكره أن يطرق
باب أمير المؤمنين فتوجه إلى المسجد، فسمع رجلاً يبكي ويصلي ويقول: ربي هل قبلت توبتي
فأهني نفسي أم رددتها فأعزيتها ؟ سأله من أنت يرحمك الله ؟ قال: أنا عمر، قال: عمر أمير
المؤمنين ؟ قال: نعم، قال: يا أمير ألا تنام الليل ؟ قال: أنا إن نمت ليلي كله أضعت نفسي أمام
ربي، وإن نمت نهاري أضعت رعييتي.
أوقات تلاوة القرآن الكريم الثلث الأخير من الليل ثم قرآن الفجر ثم قرآن بعد صلاة الصبح ثم في
بقية أوقات النهار.

٢ . اختيار المكان المناسب لقراءة القرآن الكريم:

الآن اختيار المكان المناسب، ينبغي أن نقرأ القرآن الكريم في الأعم الأغلب في المسجد، جو
عبادة، جو إقبال، جو طهر، لا يوجد فيه شيء من الدنيا إطلاقاً، بيت الله، أنت في هذا البيت أقرب
ما تكون إلى الله، الدليل: إن بيوتني في الأرض المساجد، وإن زوارها هم عمّارها، فطوبى لعبد تطهر
في بيته ثم زارني، وحقق على المزور أن يكرم الزائر.
الله عز وجل يكرم زوار المساجد في كأس شاي، زبديّة حليب ؟ ماذا يوجد ؟ هناك حكمة، تؤتي
الحكمة، تؤتي الرحمة، تؤتي الرضا، تؤتي النور يلقي في قلبك ترى الحق حقاً والباطل باطلاً، تؤتي
طلاقة اللسان، تؤتي رؤية صحيحة لا تضل بها ولا تشقى، عطاءات الله عز وجل لا تعد ولا
تحصى، وإن لم يكن هناك جلوس في بيت من بيوت الله لك غرفة خاصة، زاوية في غرفة على أن
تكون بعيدة عن غرفة الجلوس، صخب وضجيج وأخبار وكلام، هذا الجو غير مناسب لتلاوة القرآن
الكريم، يعني في غرفة الجلوس، اجلس في زاوية واقرا القرآن الكريم، في غرفتك الخاصة، في مكان
فيه هدوء.

تهيئة النفس كترية خصبة لقبول الإمدادات التي تأتيها من الله أثناء تلاوة القرآن:

هناك ملاحظة مهمة جداً أن القرآن الكريم كالمطر لا يؤثر في الصخر ولا في الجمار يؤثر في تربة خصبة، ما لم تهيئ نفسك لتكون تربة لهذا الغيث الذي يأتي من الله في أثناء تلاوة القرآن الكريم فلن تنتفع من تلاوة القرآن الكريم، لا تتسوا أن الله عز وجل يقول:

﴿ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمَى (٤٤) ﴾

(سورة فصلت)

﴿ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢) ﴾

(سورة الإسراء)

ولا تتسوا قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((وَرُبَّ تَالٍ للقرآن والقرآن يلعبه))

[ورد في الأثر]

لذلك لا بد من أن تهيئ نفسك كترية خصبة لقبول الإمدادات التي تأتيك من الله في أثناء تلاوة القرآن.

ولكن أيها الأخوة، حينما تقرأ القرآن الكريم ولا تشعر بشيء، وحينما تصلي ولا تشعر بشيء، وحينما تذكر الله ولا تشعر بشيء، فهناك مشكلة خطيرة تعاني منها، لابد من أن تتعاهد قلبك.

٣ . الاستعاذة والبسملة:

ثم إنك إذا تلوت القرآن الكريم فاستعد بالله، استعد بالله من الشيطان الرجيم، يعني كن مع الله، احتم به، الجأ إليه، ادعه قبل أن تقرأ القرآن الكريم أن يشرح لك صدرك لتلاوة القرآن الكريم، أن يلهمك المعاني التي أرادها الله من تلاوة القرآن الكريم، أن يعينك على تطبيق القرآن الكريم، ولا تنسى أن الاستعاذة والبسملة لهما شأن كبير في تلاوة القرآن، بسم الله الرحمن الرحيم، يعني هذا كلام الله عز وجل، من عند الرحمن الرحيم، من عند الحكيم العليم، من عند التواب الكريم، البسملة بشكل عام لها معنى أنك إذا أردت أن تشرب الماء فقلت بسم الله الرحمن الرحيم أي هذا الماء نعمة من الله كبرى، وينبغي أن أشربه وفق سنة رسول الله:

((مصوا الماء مصاً، ولا تعبوه عباً فإن الكباد من العب))

[البیهقي في الشعب عن عائشة]

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يشرب الماء على دفعات ثلاث، وكان بين الدفعتين يبعد الإناء عن فمه:

((فأبن الفدح عن فيك))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري]

إذاً البسمة تعني أن الذي تفعله من نعم الله عز وجل، هذا الماء الذي تشربه من نعم الله، وهذا الطعام الذي تشربه من نعم الله، وينبغي أن تنفذ تعليمات الصانع في شرب الماء وفي تناول الطعام.

٤ . تفرغ النفس من مشاغلها و همومها:

النقطة الدقيقة في تلاوة القرآن الكريم، إذا في مشاغل و هموم، رسالة أنتك وأنت متشوق إلى فتحها وقراءتها، أنا أنصحك أن تفتح الرسالة، وأن تقرأ الرسالة، وبعدها أن تقرأ القرآن الكريم، فرغ نفسك من مشاغلها، وفرغ نفسك من همومها، هذا من آداب تلاوة القرآن الكريم.

٥ . حصر الفكر في معاني القرآن الكريم:

ومن آداب تلاوة القرآن الكريم أن تحصر فكرك في معانيه، القرآن لا تنقضي عجائبه، صدق أيها الأخ أي شيء تسمعه بشكل مستمر بعد حين تمل منه إلا القرآن الكريم لو تلوته كل يوم، كلما قرأت القرآن الكريم زادك الله قرباً منه، وازداد فهمك فهماً عميقاً له، فلذلك لا تنقضي عجائبه، لذلك ينبغي أن تحصر تفكيرك، وأن تركز على المعاني التي تقرأها.

٦ . الفرح بأية البشرى و الخوف عند آية التحذير:

وشيء آخر من كمال آداب تلاوة القرآن أن تفرح بأية البشرى:

﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾

(سورة طه)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نَزَلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣١) ﴾

(سورة فصلت)

ينبغي أن تقرأ القرآن الكريم وأنت مستبشر عند آية البشارة، وأنت خائف عند آية التحذير:

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ (٢٨) هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ (٢٩) خُدُوهُ فَعُلُوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلَوُهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) ﴾

(سورة الحاقة)

آيات الوعيد ينبغي أن تخاف، وآيات الوعد ينبغي أن ترجو، وآيات البشارة ينبغي أن تستبشر، وآيات هلاك الأمم ينبغي أن تتعظ، أي لا بد من أن يكون لك حال مع فحوى الآيات التي تقرأها، هذا أيضاً من آداب تلاوة القرآن الكريم.

٧ . أن تشعر حينما تقرأ القرآن الكريم أن الله يخاطبك:

لكن لعل أهم أدب من آداب تلاوة القرآن الكريم أن تشعر حينما تقرأ القرآن الكريم أن الله يخاطبك، إذا قرأت قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا، أنت مؤمن إذاً الله عز وجل يخاطبك، مثلاً للتقريب وأنت في الصلاة ترزع سبحان ربي العظيم، سبحان ربي العظيم، سبحان ربي العظيم، فإذا رفعت رأسك ماذا تقول ؟ سمع الله لمن حمده، الله الآن يسمعك، كأن الله يقول لك يا عبدي أنا أسمعك أحمدي، سمع الله لمن حمده، أنت إذا قرأت القرآن الكريم ينبغي أن تشعر أنك مخاطب، بل كلما قرأت قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا، تشعر يقيناً أن الله يخاطبك، ويأمرك وينهاك:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ (١٤) ﴾

(سورة الصف)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا (٦٩) ﴾

(سورة الأحزاب)

إذاً كلما قرأت قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا، ينبغي أن تشعر يقيناً أنك معني بالخطاب.

٨ . قراءته قراءة موضوعية:

أيها الأخوة الكرام، أتمنى عليكم إذا قرأتم القرآن الكريم أن تقرؤوه قراءة موضوعية، ماذا تعني القراءة الموضوعية ؟ يعني أن تستنبط منه موضوعات.

تيسير تفسير كلمات القرآن الكريم في الوقت الحالي بشكل كبير:

طبعاً هذا الآن متيسر بكلمات القرآن الكريم، أي معجم مفهرس بألفاظ القرآن الكريم من خلال هذا المعجم المفهرس بألفاظ القرآن الكريم يمكن أن تستنبط موضوعات رائعة جداً في القرآن الكريم، أو عن طريق الحاسوب، مثلاً اكتب في البحث إن الله يحب أكثر من عشر آيات:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤) ﴾

(سورة التوبة)

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾

(سورة البقرة الآية: ٢٢٢)

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾

(سورة البقرة)

صار معك بحث، ماذا يحب الله ؟ بالحاسوب سهلة جداً بثوان، اكتب يحب وابحث، تأتي الآيات كلها المتعلقة بالذي يحبه الله، اكتب لا يحب، تأتي الآيات كلها المتعلقة:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨) ﴾

(سورة الأنفال)

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾

(سورة الحج)

صار معك موضوع مستنبط من كلام الله، ابحث يا أيها الذين آمنوا، جميع الآيات تزيد عن مثني آية، تبدأ بيا أيها الذين آمنوا، أنت معني بهذا الخطاب، هذا البحث الموضوعي أو القراءة الموضوعية.

تيسير البحث عن موضوع آية آية في القرآن الكريم بالإضافة إلى تلاوته كعبادة:

أنت فضلاً عن أنك تلوت القرآن كعبادة لكن الآية تبحث بالقرآن كموضوعات، من كتاب الله، من الكتاب المعجز، مثلاً: ما كان الله، هذه الصياغة يعني هناك أشياء، قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ (٣٣) ﴾

(سورة الأنفال)

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ (١٧٩) ﴾

(سورة آل عمران)

ابحث عن الآيات التي تبدأ وما كان الله، تجد بحثاً رائعاً جداً بين يديك.

عدم مخاطبة الله عز وجل النبي عليه الصلاة والسلام إلا بلفظ النبوة أو الرسالة:

لذلك أتمنى عليك إن كان عندك حاسوب، وآلان ميزول في كل مكان، الحاسوب وبرامج القرآن الكريم لا تعد ولا تحصى، بالبحث اكتب كلمة، مثلاً سيدنا محمد كم مرة؟ أربع مرات، أن هذا النبي هو الأول الذي لم يخاطبه الله باسمه أبداً ما قال يا محمد، قال تعالى:

﴿ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾

(سورة آل عمران الآية: ٥٥)

﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾

(سورة مريم الآية: ١٢)

﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي (١٤٤) ﴾

(سورة الأعراف)

لكن لا يوجد ولا آية يا محمد، جاءت كلمة محمد بالخبر:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾

(سورة الفتح الآية: ٢٩)

مثلاً ما خاطب الله عز وجل النبي عليه الصلاة والسلام إلا بلفظ النبوة أو الرسالة:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾

(سورة التوبة الآية: ٧٣)

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾

(سورة المائدة الآية: ٦٧)

عدم مخاطبة الله عز وجل النبي عليه الصلاة والسلام إلا بلفظ النبوة أو الرسالة:

والله أيها الأخوة، يمكن أن تبحثوا عن موضوعات لا تعد ولا تحصى بطريقة رائعة جداً، وبطريقة ميسرة جداً، البحث بالقرآن يتم بثوان، فأتمنى عليك إذا تلوت القرآن الكريم أن تضيف على تلاوته أثناء الليل وأطراف النهار، بالثلث الأخير من الليل، وفي مكان مريح، وفي مسجد، وأنت تبحث عن المعاني، وتبحث عن الدلالات، تفاعل مع الآيات، فضلاً عن كل ذلك أتمنى أن تقرأ القرآن وفق موضوعات مستتبطة من آياته، والآن هناك بعض البرامج فيها بحث ذكي، البحث الذكي يعني أنك تكتب علم، هذا فعل ثلاثي أثناء البحث في القرآن تطلب البحث في المشتقات، كل الآيات التي بها أو فيها مشتقات علم:

﴿ فَاَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

(سورة محمد الآية: ١٩)

﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥) ﴾

(سورة يونس)

كل مشتقات عِلْمِ الفعل الماضي، والمضارع، والأمر، واسم الفاعل، واسم المفعول، واسم الآلة، واسم الزمان، واسم المكان، وصيغ المبالغة باسم الفاعل، اسم التفضيل، كل المشتقات يمكن أن يبحث لك هذا البحث الذكي أو عن طريق المشتقات بأن واحد، أنت يمكن أن تبحث بموضوعات رائعة جداً، اكتب الآيات جمعها بصفحة واحدة، هذا البحث عنوانه كذا، إن الله يحب، صار عندك بحث، إن الله لا يحب بحث ثانٍ، مثلاً يا أيها الذين آمنوا بحث ثالث، ما كان الله بحث رابع، إن الذين كفروا، مثلاً.

عدم مخاطبة الكفار في القرآن الكريم إلا بآية واحدة لأن الكافر لا يستأهل أن يخاطبه الله:

الله عز وجل خاطب المؤمنين بمئتين وخمس وثمانين آية، ولم يخاطب الكفار ولا بآية، إلا آية واحدة يوم القيامة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ (٧) ﴾

(سورة التحريم)

ماذا تستنبط؟ أن هذا الإنسان البعيد عن الله لا يستأهل أن يخاطبه الله، هو أحقر من ذلك، أما المؤمن:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾

(سورة التحريم الآية: ٦)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا (٨)﴾

(سورة المائدة)

على المؤمن قراءة القرآن قراءة موضوعية أساسها البحث:

أنا أدعوكم أن تقرؤوا القرآن قراءة موضوعية، قراءة أساسها البحث، والآن قضية الحاسوب مبذول في أي بيت، وبرامج القرآن لا تعد ولا تحصى، وبأي برنامج حتى هناك برامج بالهاتف المحمول، وهناك بحث وتفسير و يوجد تفسير باللغة الأجنبية، يعني القرآن الكريم مخدوم خدمة مذهلة، فلذلك هذا الدرس أرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون باعثاً لنا على تلاوة القرآن أثناء الليل وأطراف النهار، قراءة تبدأ بالقراءة الصحيحة وفق قواعد اللغة، والقراءة الموجودة إن أمكن، ثم بفهم الآيات وفق علم الأصول ووفق فهم الصحابة الكرام، ثم بتدبر الآيات أن تعرض نفسك عليها، ثم بتطبيقها، ثم بالبحث الموضوعي إن أمكن.

الموضوع العلمي:

الآن ننتقل إلى الموضوع العلمي.

خلق السماوات والأرض وإفنائهما وإعادة خلقهما :

أيها الأخوة الكرام قبل أكثر من ألف وأربعمئة عام لخص لنا ربنا جل جلاله في صياغة كلية شاملة عملية خلق السماوات والأرض وإفنائهما وإعادة خلقهما، كيف خلق الله السماوات والأرض، وكيف سوف يفنيهما، وكيف سوف يعيد خلقهما.

ورود خلق السماوات والأرض وإفنائهما وإعادة خلقهما في خمس آيات قرآنية:

هذه الموضوعات الكبرى الثلاثة وردت في خمس آيات قرآنية، لولا أن العلوم تطورت تطوراً كبيراً، وفي مطلع هذا القرن تبلورت نظرية أصل خلق الكون لما جاءت هذه الآيات في تناسق عجيب:

١ . الآية الأولى:

مثلاً الآية الأولى:

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا (٣٠)﴾

(سورة الأنبياء)

عندنا مرحلة اسمها مرحلة الرتق، مرحلة الرتق: الكون كله كان كوكباً واحداً، هذا الكوكب انقسم إلى مليارات مليارات الكواكب:

﴿ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا (٣٠) ﴾

(سورة الأنبياء)

وعندنا مرحلة اسمها مرحلة الرتق، والمرحلة الثانية اسمها مرحلة الفتق:

﴿ فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠) ﴾

(سورة الأنبياء)

٢ . الآية الثانية:

الآن الآية الثانية:

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) ﴾

(سورة الذاريات)

الكون يتمدد، أول آية كان الكون كوكباً واحداً فانفجر وانشطرت وانفتقت إلى ملايين الكواكب، ثم جاء التوسع بشكل مستمر:

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) ﴾

(سورة الذاريات)

٣ . الآية الثالثة:

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) ﴾

(سورة فصلت)

المرحلة الثالثة مرحلة الدخان، مرحلة الدخان ومن الدخان خلقت السماوات والأرض.

٤ . الآية الرابعة:

لكن هذا التمدد ليس إلى ما لا نهاية، هذا التمدد سوف يعقبه فناء الكون:
﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤) ﴾

(سورة الأنبياء)

٥ . الآية الخامسة:

وبعد يوم القيامة:

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾

(سورة إبراهيم)

تطابق تصور العلماء لمرحلة بدء الخلق مع آيات القرآن تطابقاً تاماً:

والله أيها الأخوة، شيء يكاد لا يصدق أن أحدث تصور لعمالقة العلماء لبدء الخلق ولمصير العالم يأتي وفق هذه الآيات بالتمام والكمال، وهذه الآيات الخمس أعيدها على أسماعكم مرة ثانية: الآية الأولى:

﴿ أُولَئِكَ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا ﴾
(٣٠)

(سورة الأنبياء)

هناك مرحلة الرتق ثم مرحلة الفتق.

الآية التي بعدها:

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (٤٧)

(سورة الذاريات)

الكون في توسع ثم في انكماش ثم يطوى هذا الكون بقدرة الله تعالى:

الكون في تمدد مستمر إلا أن هذا التمدد ليس إلى ما لا نهاية لابد له من حد، المرحلة الرابعة مرحلة الدخان:

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ (١١)

(سورة فصلت)

ثم مرحلة خلق السماوات والأرض، ثم نهاية العالم:

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ (١٠٤) ﴾

(سورة الأنبياء)

الكون في توسع ثم في انكماش ثم يطوى هذا الكون:

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (١٠٤)

(سورة الأنبياء)

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) ﴾

(سورة التكويد)

إلى آخر الآيات وبعد يوم القيامة:

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾

(سورة إبراهيم)

أيها الأخوة الكرام، كلكم يعلم أن أي نبي جاء على قومه هناك من سيكذبه:

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾

(سورة الرعد الآية: ٤٣)

كيف يؤكد هذا النبي لقومه أنه رسول فعلاً ونبي حقيقة؟ لا بدّ من أن يشهد الله له على رسالته، أو على نبوته بمعجزة هي في الأصل خرق لنواميس الكون، إلا أن النبي عليه الصلاة والسلام أرسله الله إلى كل البشر وإلى الأمم والشعوب قاطبة:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(سورة الأنبياء)

وكتابه كتاب خاتم، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، والقرآن خاتم الكتب، فما الذي ينبغي أن يكون؟ لا بدّ من أن تكون المعجزة مستمرة، ولن تكون مستمرة إلا إذا كانت علمية، يا أخوان هناك شيء يلفت النظر، يعني هناك أكثر من أربعمئة ألف حديث، ألف وثلاثمئة آية في القرآن الكريم لا يوجد ولا حديث يفسرها، هناك من قال إما أنه توجيه من الله جلّ جلاله للنبي ألا يفسر هذه الآيات إطلاقاً، أو أنه اجتهاد منه، على كل الحكمة واضحة لو أن النبي عليه الصلاة والسلام فسر هذه الآيات تفسيراً مبسطاً يفهمه من حوله لأنكرنا عليه، ولو فسر هذه الآيات تفسيراً عميقاً جداً كما أراه الله من آيات ربه الكبرى لأنكر عليه أصحابه، الألف وثلاثمئة آية تركت من دون أي تفسير، فكلما تقدم العلم كشف عن جانب من عظمة هذه الآيات، إذاً هذا القرآن دليل أنه كلام الله، من آياته الكونية، يعني الإنسان يوقن يقيناً قطعياً مئة في المئة أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن، هذه الآيات تتوافق مع أحدث تفسير لبداية الكون ولنهايته ولإعادة خلقه مرة ثانية، خمس آيات متفرقة في كتاب الله تطابق أحدث نظرية في تفسير بدء الخليقة.

إذاً الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن، الله عز وجل جعل هذه الآيات شهادة منه على أن القرآن كلامه، ولأن القرآن كلامه هو شهادة أخرى على أن النبي الذي جاء بهذا القرآن هو رسوله.

والحمد لله رب العالمين